مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار . لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

الألم المضاد واستلاب الهوية الأنثوية في القصيدة النسوية العراقية المعاصرة

م. رحمن عيسى صافي
جامعة ذي قار – كلية الآداب
rahman@edu.shu.edu.iq

الملخص

كشفت لنا الدراسة في البحث الموصوف بـ (الألم المضاد واستلاب الهوية الأنثوية) على اهم تجليات الألم وابعاده النفسية في النص النسوي. كما ويهتم هذا التخصص بدراسة الظواهر الاجتماعية والفنية والجمالية في ضوء المقاربة السايكولوجية، باستخدام المنهجية الكمية من جهة، أو المنهجية الكيفية من جهة أخرى، أوهما معا كما أن الالم الاستلاب في الشعر النسوي العراقي المعاصر، سمة لافتة في التجارب الشعرية المسكونة بجدل الذات والعالم المشغول بالرغبة في الانعتاق من القلق والحيرة، ومواجهة الإحباطات الداخلية على المستوى الشخصي والإنساني، والاجتماعي بروح نضالية وعقل مفكر.

الكلمات المفتاحية: (الألم المضاد، استلاب، الهوية الانثوية).

The Pain of Resilience and the Alienation of Feminine Identity in Contemporary Iraqi Feminist Poetry

Rahman Issa Safi
University of Thi-Qar - College of Arts
rahman@edu.shu.edu.iq

Abstract

This study, titled "The Pain of Resilience and the Alienation of Feminine Identity," reveals the most significant manifestations of pain and its psychological dimensions in feminist texts. This discipline focuses on studying social, artistic, and aesthetic phenomena through a psychological approach, employing quantitative, qualitative, or both methodologies. The pain of alienation is a striking feature of contemporary Iraqi feminist poetry, characterized by the interplay between the self and the world, and preoccupied with the desire to break free from anxiety and confusion. It also addresses the confrontation of internal frustrations on personal, human, and social levels with a fighting spirit and a critical mind.

Keywords: (Pain of Resilience, Alienation, Feminine Identity)

مقدمة:

أسهم المجتمع اسهاماً كبيراً في تقوية سلطة الرجل، ومنحه حق التحكم بالمرأة، وفرض القيود عليها، لأنّ المجتمع في الحقيقة هو مجتمع ذكوري، يتحكم فيه الرجال، ويحدد أعرافه وقوانينه الرجال؛ لذا عمل المجتمع ومنذ سن مبكر من حياة المرأة على تنشئتها وتهيئتها لتكون تابعة للرجل خاضعة لإرادته، لأنّ المرأة لم تولد بخضوعها، إذ لم يكن الخضوع من صفاتها البيولوجية، إذ لا يوجد **((أي دليلٍ علمي في البيولوجيا، أو الفسيولوجيا ما يثبت أنّ المرأة أقل من الرجل عقلا، أو جسدا، أو نفسا، إنّ الوضع الادنى للمرأة فرض عليها من المجتمع لأسباب اقتصادية واجتماعية لصالح الرجل، ومن أجل بقاء واستمرار الأسرة الأبوية التي يمتلك فيها الأبُ الزوجة، والأطفالَ، كما يمتلك قطعة الارض))** (السعداوي ن.، صفحة ٢٤)، علمًا أنّ علم النفس التجريبي عاد في السنوات الأخيرة للبحث في الفروق بين الجنسين، في مرحلة مبكرة من سن الروضة، وبرهن على أنّ أغلب الفروق بين الجنسين هي اجتماعية المنشأ (شوي، ١٩٩٥، صفحة ٢٠).

كما أن المجتمع حدد أدوار الجنسين، فكان نصيب المرأة الهامش، في مقابل المركز الذي تربع على عرشه الرجل، حيث قام المجتمع بتقسيم العمل، مانحاً السيادة للرجال وحصر النساء وتقييدهن بأعمال نسوية الطابع في حقل الانتاج الاجتماعي (برهومة، ٢٠٠٢، صفحة ٢٤)، كما تخضع (الأنثى/ المرأة) لاستلاب مبكر من قبل المجتمع ويستمر هذا الاستلاب لحين التأكد من خضوعها لسلطة الآخر والتكيف معها، إذ إنّ **((التربية على الأنوثة ليست مصادفة، بل تخدم المزيد من الاضطهاد، والاستغلال للنساء في مجتمع الرجال))** (شوي، ١٩٩٥، صفحة ١٥).

فضلا عن أن ظاهرة استلاب الهوية في الشعر أصبحت من الظواهر البارزة، ولاسيما في النصوص النسوية التي أثارت اهتمام الكثير من الباحثين المعنيين في حقل الشعر، حيث أصبح**((أشدّ ارتباطاً واقتراناً بهذه الظاهرة، بسبب ما يكتنف هذا العصر من هموم وتناقضات، تكاد تشمل كل الميادين، والمجالات، حيث يجد الشعراء أنفسهم إزاء واقعهم**

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

الاجتماعي المعيش، وقد تقاذفتهم هموم الحياة اليومية، فينزعون إلى التعبير عن آمالهم، وآلامهم بكل غضب، وسخط، ومن ثم تولد ابداعاتهم الشعرية متأججة بنيران الثورة، والرفض)) (السعيدي، ٢٠٠٨، صفحة ١٣١)، ففي ظل الظروف الصعبة التي يعيشها العالم كان على الشعر أنْ يرتدي بزة الرفض، ويعلن العصيان ازاء الظواهر السلبية التي يصدرها المجتمع، والتي يطفح بها الواقع، ويتخذ دوره الاصلاحي في المجتمع ولهذا فقد((**توجه الشعراء المعاصرون برفضهم إلى الواقع المتخلف البائس، الذي جرح الانسان، وخرب حياته من أجل هدم كل عوامل السلب والجدب والافتقار التي تشتغل فيه مع الانسان بضدية وعداء مما حتم عليهم العمل على التصدي والمقاومة بكل الأدوات المتاحة بحثاً عن بديل يحمل في طياته غدا اكثر رأفة بحلم الانسان ومشروعه المستقبلي))** (عمر، ٢٠٠٨، صفحة ٣٤)، والشاعرة العراقية – وكما ذُكر سابقاً – جعلتْ الكلمة سلاحاً للتعبير عما يجوب في داخلها من أحساس بألم للرفض وللمقاومة، وما يعتريهما من ألم نتاج ذلك التعسف، فالشعر في تجربتهن كان رافضاً للواقع، ولكل الممارسات الظالمة، التي لا تمت للإنسانية بصلة فالشعر على وفق رؤيتهن كان لابدّ((**أنْ يظلَّ مخلصاً لأهدافه في الحفاظ على المشروع الانساني في حراكه العارم، انّ الشعر وهو يعبر بصدق عن حالة كارثية لابدّ أنْ يكونَ حركياً، مشتعلاً بالرفض والتصدي، مقبلا على الحياة محرضاً على المقاومة))** (عصام، ٢٠١٣، صفحة ٥١)، ومن خلال عملية الرفض التي يتصدى فيها الشاعر بشعره لخطاب الآخر يعمل على تحقيق ذاته، تلك الذات التي تثبت وجودها بصرخة الرفض وإعلان الاحتجاج **((فأنْ أكونَ موجوداً شخصياً يعني... أنْ أعرفَ كيف أقول : لا ، وأنْ أحتج))** (مونييه، ١٩٧٩، صفحة ٥٦) وتعمل الثقافة الذكورية على إرساخ هذا المفهوم عن الأنوثة، وتثبيت صفات ملازمة له في وعي الإناث قبل الذكور، وعليه يتم تقسيم المهام والأدوار الوجودية، وفيما توزع الأدوار المحورية المنوطة بالعقل والتفكير والقوة، تنزاح الأنثى بأدوارها قهراً نحو الهامش، ويتم توارث ذلك على أنه من خلق الطبيعة.

منهج البحث:

ولا شك أن المناهج النقدية الحديثة ومن بينها المنهج النفسي هي ثمرة ثقافة غربية وربما تكون هي حصيلة حضارتها المادية، وإنها انتقلت الى العالم العربي، فلم يعد بوسع نقادنا إلا التبني أو التقليد أو إعادة التصنيع – ان صح القول – بحسب ما يناسب الحضارة العربية، وهذا ما حدث عند ظهور المناهج السياقية والنصية التي عرفها الوطن العربي منذ نهاية الستينيات، ومن هنا جاءت رغبة الباحث في الدخول في هذا المضمار من خلال الكشف والتنقيب ليرتاي أن يقوم بتحليل نصاً شعرياً، معتمداً في ذلك على طريقة أو إطار عمل يُستخدم لفهم السلوك البشري أو المشكلات النفسية، مثل المنهج السلوكي أو المنهج المعرفي أو المنهج الديناميكي النفسي (المنهج النفسي التحليلي)، فهو يوظف الألم في النصوص الشعرية وأثرها النفسي، وهذه الدراسة النفسية للنصوص الشعرية النسوية التي تجسد مونتيف الألم المضاد نتيجة سطوة وهيمنة المذكر(الرجل) وانشطار الذات واستلاب هويتها في دواوينهن الشعرية، فهي تقوم على الدلالات ذات البعد النفسي ووصفها لذلك ثم تحليلها ثم استخراج النتيجة وتعميمها ضمن الحدود المناسبة، فهو في ذلك لا يخرج مجمله عن عملية الوصف و التحليل من أجل الإحاطة بآليات المنهج السايكلوجي و تمثلاته في المدونات المدروسة.

مشكلة وسبب اختيار الموضوع:

تشكلُ تجربةَ القصيدة النسوية مثالاً للقصيدةِ العراقيةِ الحديثةِ، ومن توظيفه الدلالي ذات الأثر النفسي الذي اثرهن به نصوصهن بشكل لافت ومميز؛ وعلى هذا الأَساسِ فقد تم اختيارُ هذا الموضوعِ مبنياً على الأُسس الاتية، أَهمها:

- نحاولُ من خلال هذه الدراسة، تطبيق واحدة من أهم النظريات النقدية الحديثة التي عنيت بإعادة دراسة النص الأدبي، منطلقين من بوابة مفهوم (المنهج السيكولوجي) محاولين الربط بين النظريات الغربية والعربية المعاصرة من خلال تطبيق مفاهيم حديثة على الشواعر.

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

- ❖ كيف تجلى الألم المضاد في شعر الشواعر العراقيات، وما الأَبعاد الدلالية والنفسية والفنية التي اكتسبتهن قصائدهن من هذا التوظيف المستدعى؟
- ❖ ما تقانات التوظيف الرمزي (للألم المضاد) الذاتي التي وظفتهن الشواعر في سياق قصائدهن؟ وما دلالة ذلك الاستلاب في التعبير عن هوية الشعرية مستلبة وفق رؤية ذاتية؟
- ❖ ستقراء حضور الذات وحصرها في أشعارهن، والكشف عن دلالة الألم بأبعاده المختلفة.

سنحاول في الصفحات التالية ان نقدّم في شيء من التكثيف صورة بانورامية–إن صح التعبير– توضح تجليات السلطة الفحولية الذكورية ودورها في استلاب الذات الانثوية في خطاب القصيدة النسوية المعاصرة، ومقامة ذلك الصمت الذي اسهم بتلك السطوة، من خلال نصوص حملت بين طياتها تلك المقاومة والرفض، ساعين في ذلك خلف النسق المضمر في خطاباتهن، بغية القبض عليه، وتسليط الضوء على محولاتهن التي تكتنزها نصوصهن الشعرية، عبر اختيار نماذج من تلك النصوص ومقاربتها بالتحليل النقدي السايكولوجي.

وانطلاقاً مما سبق سيحاول البحث كشف عملية الاستلاب التي تعرضت لها الذات الأنثوية في نصوص الشواعر وما اعتلها من تجليات الألم المضاد، حيث عملن على بيان صور الاستلاب الاجتماعي الذي أحال المرأة الى كائن مهمّش، يعيش في الظلام، وسيحاول البحث هنا تتبع هذه الظاهرة في مدوناتهن الشعرية، منتقياً النصوص التي تظهر فيها ظاهرة الألم المضاد لاستلاب الهوياتي بشكل بارز وواضح، وسيكشف فاعلية الرفض في تأكيد ذات الشاعرة، إذ نجد إنَّ الألم في شعر البستاني يتخذ اشكالاً مختلفة، فهي شاعرة رافضة بامتياز، لذا تعمد إلى التعبير عن الرفض الذي تشعر به بطرق مختلفة، بقدر الأمور التي ترفضها وتتمرد عليها ففي نصّ لها تعتمد اسلوب الحوار، الذي يدور بين الشاعرة وذاتها، في مشهد حزين تصور فيه الذات الشاعرة **بشرى البستاني** بشاعة الألم المضاد (بشرى، ٢٠١١، صفحة ٢٧) وتؤكد رفضها له وفيها تقول:

وقلت..
خَذّي برد وحشتي..
في ثنايا الدفء
تحت أغلفة الجسدْ
فوسط الدوامةِ
تنفك شراييني
ليغسل قدميك موج الأحمر اللذيذ
وقلت لي في الليالي الموحشة دثّريني
بورق الجنة
المتساقط من أناملك النبيّةِ
وهي تمسحُ بالضوء صدري..
وقلت لي ..
هكذا اريد أن أموت
مدثراً بالحرير..

يبدأ النص بصيغة الأمر **(خذي)** مترئِّس السطر الشعري اعلاه، دلالة توحي باستمرارية التوتر القائم في حياة الرجل بغيات الحبيبة، جسدتها بصورة شعرية في غاية الشكاية والألم مثلها لسان حال الرجل الذي يتواصل في اعترافه بمزايا الأنثى مقابل الوحشة التي يعانيه بغيابها، فيعبّر عن اشتياقٍ ممزوجٍ بالرهبة جراء الفقد والابتعاد، فالمتكلّم يبدو في حالة افتتانٍ قصوى بالمحبوبة، حيث يتمنّى أن يكون موتُهُ نفسه متشحًا بلمستها ودفئها، هنا نجد ازدواجية هذا التناقض يخلق توتّرًا دراميًّا بين العذاب والرجاء، جسده قولها**(برد وحشتي)** تصوير شعري وصياغة في منتهى الإيجاز والتكثيف الدلالي في إبراز حالة شعورية متمثلة بيأس وألم مضاد يخيم على مفردة (الوحشة) بدلالة لفظة (البرد)، ذات الطابع الرمزي المتضمن لمعاني اليأس، والألم، وانعدام الحيوية، توازيها في المدلول والمفهوم وهو ما عنته الشاعرة على لسان ذلك

الرجل، فجسدها ملاذ أمن الذي يعيش في كنفه الرجل بدلالة(**في ثنايا الدفء**)، إذ بني النص على دلالات متضادة، يتجلى من خلالها الصراع القائم في الكون بين الأنوثة والذكورة، فلفظة (**الدف**) تقابل بلفظ (**البرد**)، والمفهوم الدلالي الذي تؤديه لفظة(ثنايا) أوسع مما يبدو في الظاهر، فهي توحي بطابع الحنان، وتختص بمجال الأنوثة التي تتميز بالإحاطة والرعاية، كما أن الدف الذي يتطلع إليه الرجل يكمن تحت(أغلفة الجسد) الذي بات مأوى وعطاء يحتمي به، ليسكن وينعم بالدف، ففعل استلاب الهوية في النص قائم على فعل التنازل عن الذات لصالح المخاطَب هنا إهداء مباشر للآخر، كأنّ هويتها العاطفية تُختزل في الطلب، فلا وجود لها خارج دفئه، كما أن لتكرار الصيغ: (**وقلت لي/ دثّريني/ هكذا أريد أن أموت**)، وهي لحظة مكاشفة ومصارحة والإرادة، في محاولة البحث في مكونات الأنا عما كان من عهود، ووعود في الحفاظ على التواصل والترابط، والتي استعانت بها الشاعرة في كلمة (قلت) واشتقاقاتها، لألم هنا ليس ألمًا مباشرًا، بل ألمًا مضادًا، أي أنّ الشاعرة لا تصرح بالوجع، بل تخفيه خلف صور الدفء والحرير، لتأتي لحظة الإعلان عن استسلام ف(**الرغبة في الموت بين يدي الآخر**)، فالألم هنا تجلّى بوضوح ليس في فكرة الموت فحسب، بل في حاجة الشاعرة لأن يكون موتها مشروطًا بحضور الآخر، وكأنها لا تستطيع حتى اختيار نهايتها بنفسها، ليس احتفاءً بالذات، بل إلغاءها من دون أي ادراك. دلالة على تحوّل الذات إلى ذات متوسلة ومنفعلة، خاضعة تابعة للآخر، ليظهر الألم المضاد نتيجة ذلك الاستسلاب المتجذر في ذات الشاعرة من دون وعي أو أدراك.

أن التوظيف الدقيق للصور بأسلوب مكثف، يجعل من النص بنية تتابعية من المشاهد الرمزية التي تتشابك فيها الخاصية الذاتية مع التجربة الجمعية، فتتحول القصيدة إلى شهادة على غياب الأبوة بوصفها عاطفة، لا نسبًا، ليولد ذلك الفراغ والغياب جملة من المشاهد التراجيدية جسدها ألم السلطة الأبوية المستبدة، والمستشري في جسد المجتمع كما اكدنه البستاني في نص اخر (البستاني، ٢٠١٤، الصفحات ١٤١-١٤٢)

من قطّع أوصالي

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

وتركني في زاوية الغرفة أتطلع إليها برعب
لماذا انتزعوا ملابسي في برد عاصف
وعلقوها على مروحة السقف
وتركوني ارتعش في الظلمة
لماذا ربطوا يديّ بحبال غليظة
وشدوها بمسند حديدي
وتركوني وحيدة في ليل أخرس
لماذا ذبحني الرجل الوحيد الذي أحببته
وحمل لمجهولين رأسي
على طبق من مكيدة
لماذا كسروا ساقي إذ وجدوني أمشي
وأطفأ بلابل الشجر في حدائق الكلام

تفتتح الذات الشاعرة ملف استلابها مع جملة متكررة من الاسئلة تقدم عتبتها الاستهلالي سؤالها الاستنكاري**(من قطّع أوصالي)**، تعبيراً بالإشهار المعلن عن مظلوميتها وقهرها للعالم الذي يبقى صامتاً إزاء ما تتعرض له الذات الانثوية، إنّ كل مقطع من النص يحكي لنا نوعاً من الاستلاب، فالمقطع الاول يكشف لنا عملية تهشيم الذات بامتياز عن طريق تقطيع الجسد لتفتتح الذات الشاعرة ملف استلابها به، فتعلن، حيث يهدف الآخر من وراء هذه الجريمة إلى تغييب الهوية واستلاب كيانها، إخفاء ملامحها أو العمل على تشظيها لتقبع في زاوية التهميش والإقصاء، وفي المقطع الثاني ترينا الذات عملية استلاب الوعي، لتبقى الذات الانثوية عارية في عصر العلم والمعرفة، ولتبقى أسيرة ظلام الجهل والتخلف والمرأة الواعية المثقفة بالخصوص، فترى الذات أنّ الرجال الذين يحكمون العالم بسلطتهم المبنية على الاقصاء وتهميش النساء، لا يمكن أنْ يمنحوا المرأة الفرصة لكي تتكلم، وتبدي رأياً، لأنّ هذا يعني مشاركة الرجل السلطة، وهو ما لا يمكن قبوله، إنّ الرجال على علم بأن

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

اعطاء المرأة الحرية سيؤدي الى مهاجمة عرش الرجال الغارق بدم النساء، لذا عمد الرجل إلى سلب صوت المرأة والتأكد من رضوخها واستسلامها، فالمرأة في ظل سيادة الرجل مرغمة على الرضوخ للقوانين والمعايير الذكورية، فلا يحق لها أنْ ترغب وتتمنى ولا يحق لها الاعتراض كل ما عليها هو القبول بالواقع والتكيف مع هذه الظروف (بيان، ٢٠١٩م، صفحة ٧٨).

يُعَدّ استلاب الهوية الأنثوية بشكل عام، أحد أخطر أشكال الاغتراب النفسي والاجتماعي؛ إذ لا يكتفي المجتمع بسلب(المرأة) دورها الطبيعي في الفعل والاختيار، بل يُعيد صياغتها وفق قوالب خارجية تُفرغ ذاتها من معناها الأصيل، هذا الاستلاب لا يتجلى في البُنى الاجتماعية وحدها، بل يتسلّل إلى الوعي واللاوعي، حيث تجد الأنثى نفسها موضوعًا للتقييم، غير أنّ هذا القمع لا ينتهي عند حدود الانكسار؛ فالألم الناتج عن الاستلاب لا يبقى صامتًا، بل يتحوّل إلى ما يمكن تسميته بـ **الألم المضاد**؛ وهو الألم الذي يحمل في جوهره بذور الاستلاب، وإنّ الألم المضاد ليس مجرد استجابة انفعالية للحرمان، بل هو فعل نفسي دفاعي يُمكّن الذات الأنثوية من الاستمرار في الوجود رغم محاولات الطمس. ومن هنا، يغدو الشعر أو الخطاب الإبداعي وسيلةً لإعادة بناء الهوية الممزقة، حيث تتحوّل الكتابة إلى مساحة تُقاوم فيها المرأة الاستلاب عبر تسمية جراحها، وصوغ خطاب يُعيد لها الاعتراف بذاتها وهذا ما جسدته الشاعرة في نصها **(الركابي ، ٢٠٢٢، صفحة ١٦)**القائل:

حوَّاء

يَلهو بيَ الدَّهرُ ويعبثُ بِأقداري

شاهقٌ صبري وهو يبيعُ دمعاتي

بسوقِ الأعرافِ وبأبخسِ ثمنْ

مجتمعٌ يقودُهُ الأعرابُ والأنصاب

والعهرُ في محرابِهِ مستوطِنٌ

تمادى بالظُّلمِ والجهلِ وهو يرقصُ على دمِ النَّحرْ

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

يتباهى بقطعِ نخيلِ أمنياتي

والأدهى يشتُمُني إنْ قلتُ أنا حوَّاءُ

أنا الأرضُ.. أنا الزَّرعُ.. أنا المَطرْ

تستهل ميثاق الركابي نصها الموجع بتوظيف دقيق، وشى ببلاغة قصدية تمثلتها بإعلان هوية: **(حوّاء)**، لكن بدل ما يكون إعلان فخر، جاء محمل بألم وصراع، وكاسر لأفق التوقعات عندما ارتبط الاسم بفعل الدهر يلهو مدار العبث ترجمه قولها: **(يلهو بي الدهر ويعبثُ بِأقداري)**، متخطياً ذلك الاستلاب ليصل بأعلى مراحل الألم المضاد المتمثل بتحكمه بالأقدار والعبث في مصيرها، فالشاعرة لا تتحكم بمصيرها، بل هو بيد (الدهر والمجتمع)، مما يولّد شعورًا بالعجز وفقدان السيطرة، وهو أحد أعمق تجليات الألم النفسي، كيف لا وهو شاهد على استلاباتي، وترجمة لسوق القيم المقلوبة التي مثلها واقع الشاعرة بألم فيعبث بها على نحو:(**يبيعُ دمعاتي/ بسوقِ الأعرافِ وبأبخسِ ثمنْ**)، في مجتمع يقوده العهر، وتحكمه الاعراف والتابوات، وهي ترمز إلى ثقافة ذكورية تجعل معاناة المرأة أمرًا عاديًا لا قيمة له، في مجتمع يقوده الأعراب والأنصاب، والعهر في محرابه للمرأة، فالنص يصف المجتمع كمكان مقلوب، حيث القداسة تحولت إلى استباحة وعهر، وهنا يكشف إحساس المرأة بأنها غريبة داخل منظومة مشوهة، فلا تجد مكانًا آمنًا، شعورًا بالاغتراب والوحدة، وكأنها محاصرة في فضاء لا يحتضنها، وهي تشتم كونها أذا عرفت عن هويتها كأنثى مما شكل لها هذا الانطباع استلاب والهجوم على الهوية بفعل الشتم ليصل الاستلاب إلى أقصاه ليس فقط سلب الحرية والأحلام، بل سلب الحق في التسمية الذاتية **(والأدهى يشتمني إن قلت أنا حوّاء)**، مجرد إعلان الذات يصبح جريمة، يقابلها المجتمع بالشتيمة؛ كونها أنثى فهي ولن تخرج من جلباب حواء هذا يشير إلى قمع التعبير عن الأنا، وهو شكل من الاستلاب الهووي والنفسي، مما يولّد ذلك إحساسًا عميقًا بالدونية الممنهجة، حيث يُفرض على الأنثى أن تخجل من اسمها وجوهرها، لتجلى الألم المضاد في عتبة الخاتمة **(أنا الأرض/ أنا الزرع/ أنا المطر)** في المحاولة لاستدعاء هويتها الطبيعية(الأم، **الخصب**، **الحياة**)، وانعاشها بالرغم من كل الجراح،

ودفعها على التجدّد، وهذا بمثابة آلية نفسية للمقاومة الألم النفسي الذي قتل الذات، وجعلها أكثر وعيًا بعمقها وقيمته، واكثر أيلاماً في ذات الوقت.

الشعر وسيلة للتعبير عما يجيشُ في النفس الإنسانية من إنفعالات ومشاعر، في مواجهتها الدائمة مع مظاهر العالم الخارجي وأحداثه فحسب، بل هو طريقة لممارسة الحياة، ومفتاح الدخول الى أعماقها ومشعل لإضاءة دهالزها المعتمة، وجسر لوصل ما إنقطع من وشائج بين الإنسان وبين أشياء الوجود، منذُ أنْ ظهر الإنسان ككائن مستقل في هذا العالم، ولا أشكُ أن هذه الرؤية للشعر هي وحدها التي تستطيع تفسير ذلك التلازم العجيب بين وجود الإنسان وما يعتريه من الآلام وأوجاع تجعل من حضور (الآخر/الرجل) في شعر المرأة العراقية لا يخلو من صورة الظلم والعدائية المكنونة لها منذ زمن سحيق، فكما كان لحضروها المعرفي في بعض مفاصل حياتها، نراه يقف ضدّهُا مبينةً عدائيتَه وتزمت آرائه ضدّ كينونتها، وممارساته القمعية ومنعها عن أدوار الفاعلية وحصرها وتهميشها في نطاق أدوار التبعية، واخضاعها للدونية تحت وطأة السلطة المستلبة لهويتها؛ إذ سعت المرأة الشاعرة إلى تشكيل هويتها وحضورها المستمر داخل الفضاء الاجتماعي، رغبةً في اثبات ذاتها والدفاع دونها، فأنَّ المواجهة طالما تنتهي بفشل، نتيجة اتهامه اياها بالجنون والخروج عن المألوف، هذا ما صورته **كي زال إبراهيم** في نصها مخضن بالألم المضاد، فاستعانت برمز الصديقة تعبيرا عن ذلك الألم الناتج عن استلاب لهوية مهمشة في نطاق أدوار التبعية والتهميش (زال، ٢٠١٩، صفحة ١١٦) فيها تصف بالقول:

صديقتي .. ليست مجنونة
وقعت هي وكتبها وقلمها وحقيبتها
كطريدة بين أيدي صيادي
منع الديكتاتور
ذبح قلمها
وتمرغت كتبها في الدماء

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

وملئت حقيبتها بدموع الشرف

أُستبح جسدها

وقتل عقلها.

تستهل الشاعرة نصها بعبارة **(صديقتي .. ليست مجنونة)** جملة يعتليها النفي الصريح، فهي ترفض الوصم الاجتماعي والسياسي الذي يُلصق بالضحية، فالجنون هنا ليس حالة مرضية، بل توصيف تمارسه السلطة والمجتمع على من يخرج عن النسق المألوف الذي وضعته تلك السلطات، فهي تقع **(طريدة بين أيدي صيادي)** فالديكتاتور كناية عن تلك السلطات التي (ذبحت قلمها ولطخت الكتب بالدماء) شهادة على العنف لتحويل المعرفة إلى شهادة دموية، فهذه لحظة تحول من المعرفة كسلطة إلى المعرفة كألم ومعاناة، أي ولادة معرفة مضادة، تُقاوم النسيان اندماج المعرفة بالألم، وهذه ذروة الانتهاك، لكنها تُسرد لا كضحية صامتة، بل كحالة تُشهر، وتُدين، للتعبير عن فعل الأم المضاد وهو (الطمس، والانتهاك، واستلاب الهوية)، كما أن سيناريست مشهد اختلاطها بالدم، وكأن الألم أصبح جزءًا من مضمونها، ما هو إلا استعارة عن ولادة فكر جديد، مقاوم، من صلب الألم، إذ لم تكتف المرأة (الشاعرة) بالتمرد على فكر الرجل، بل تمردت على سلطته أيضا، لأن ظلم السلطة الذكورية للمرأة لا يقف عند حد معين، والمرأة مستمرة بالمقاومة طالما هناك دم يجري، فعملية جريان الدم وحدها تشكل ثورة على الثبات والجمود، وقد تتبعها ثورات متتالية، هذا رفض لتفريغ الإنسان من كرامته.

الألم المضاد هو مفهوم يمكن استنباطه من التناقضات العاطفية التي تظهر بوضوح بين الألم والرفض من جهة، وبين الحياة الجديدة والبداية التي تمثلها الولادة من جهة أخرى. كما انه الشعور النفسي ينشأ نتيجة الصراع الداخلي بين الفقدان أو الألم والجانب الإيجابي المحتمل في الحدث. شهد هذا في هذا النص **(تهاوين قبل الألوان)**، اذ هناك لحظة ولادة (رمز للحياة والأمل)، لكنها جاءت في سياق مليء بالموت والظلام والرفض، مما شكل نوعًا

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

من التناقض النفسي الذي يمكن أن نسميه "الألم المضاد"، التناقض بين الحياة والموت مثلته (حميد، ٢٠١٥، صفحة ١٢) بقولها:

أتتْ أنْثى

كانَ كالموتِ مخاضاً

ووقتاً مُظلماً

حينَ التقَتْ عينُ المولّدة بذاك الشّيءِ للمَولود

تخفي مثلما تسرقُ

تلعنُها بتمتمةٍ

أتتْ أنثى.

المقطع شعري الوارد اعلاه يفيض بالمشاعر العميقة والتوتر الدرامي، كيف لا وهو يستعرض لحظة مليئة بالمعاناة والظلمة النفسية، حيث تعبر عن لحظة ميلاد، فالنص يتحدث عن الألم والمعاناة اللذان رافقا تلك اللحظة، لذا استهل تلك المعاناة بجملة(**أتت أنثى**)، هذه العبارة البسيطة تحمل تناقضًا عاطفيًا، فالولادة عادة ما تكون رمزًا للحياة والبداية الجديدة، لكنها هنا تُقدَّم في سياق مظلم ومشحون بالمشاعر السلبية، مما يعكس حالة من الألم النفسي أو النفور من الحدث، هذا ما عزز استهلال النص عند قولها: (**كانَ كالموتِ مخاضاً ووقتاً مظلما**) تشبيه هنا يُبرز درجة المعاناة النفسية والجسدية التي كانت حاضرة في تلك اللحظة، فالمخاض عادة ما يكون لحظة أمل وبداية جديدة، لكن عندما وصف بـ(**الموت**) و(**الوقت المظلم**) يعكس تجربة سوداوية وشديدة القسوة، هذا يبرز فكرة أن الولادة لم تكن مجرد حدث طبيعي، بل كانت أقرب إلى تجربة فقد أو ألم شديد، جسدها التوظيف الماثل بالمشهدية في قولها (**حينَ التقتْ عينُ المولّدة بذاك الشّيءِ للمَولود**)، إذ يبرز عنصر الغموض، حينما يتم وصف المولود بذاك التوصيف، مما يعطي انطباع على وجود انقطاع عاطفي أو رفض داخلي لهذا الكائن الجديد، هنا لحظة مليئة بالارتباك والإدانة النفسية، وكأن هناك شيئًا غير

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ
JOSS مجلة الدراسات المستدامة Journal of Sustainable Studies

طبيعي أو غير متقبل يحدث، مما يبرز رفضًا داخليًا للواقع أو محاولة للهروب من التعامل معه.

كما أن تكرار العبارة **(أتت أنثى)** في عتبة الخاتمة، يعيد التأكيد على الحدث الرئيسي، لكن هذه المرة يبدو وكأنه يحمل استسلامًا أو قبولًا مريرًا، فالنص يبدأ وانتهى بنفس الحدث، مما يخلق دائرة مغلقة من الألم، وكأن هذا الحدث يمثل لحظة معاناة داخلية عميقة، يعكس تجربة شخصية أو رمزية أكبر تتعلق بالرفض أو الصراع مع الذات. الألم النفسي هنا ليس فقط مرتبطًا بالموقف، بل هو انعكاس لتجربة أكبر من الحزن والسواد الداخلي، كما لابد من اشارة الى أمر مهم فالشاعرة لم تكتف بذكر آلام المخاض، بل أشارت إلى أمر آخر أكثر ألماً للمرأة وهو رفض المجتمع للمولودة الأنثى، في الإشارة إلى ظلم ذلك المجتمع للأنثى منذ ولادتها، فهو يعلي من سلطة الرجل ويقلل من شأن الأنثى، فتستاء إذا كانت نبأ المولودة أنثى، فيصبح مصدر اختناق وألم، وأقصى أحلامها أن تبلغ ما تحتاجه الأنثى من.

الألم المضاد باعث نفسي عند المبدع، ولاسيما المبدع في النص الشعري، إذ إنَّ النص الشعري بوحٌ عن الأحاسيس والمشاعر التي تعتلي المبدع هذا في زمن ما وفي مكان ما وفي حدث ما، ومن هنا تكون القصيدة أو يكون النص الشعري وثيقة نفسية لمشاعر الذات المبدعة، فيما تدون وتكتب وتنظم من نصوص شعرية في أغراض شعرية معينة، وبجوانب وبنى فنية معينة تعبر عن محنة ألمها المضاد القائد إلى اسلاب هويتها وهذا ما شهده نص الشاعرة (القاضي، ٢٠١٦، صفحة ١٥) ، عندما تقول:

على الكلمةِ دمٌ كذبٌ

كلّ مرّةٍ أجيئُها بشجرةٍ أخيرةٍ

وأقسمُ أنّها أخي القديم

فتأخذني إلى بئر..

فأحمل ظلي الذي مازال بعدُ جرّة

متقطرا من البردِ

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار . لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

وأركضُ من خلف الستائر

مثل الطفلة أخرى

لطالما خلف الستائر جرار..

وطفلةٌ أخرى!

النص الذي أرسلته الشاعرة فيه إشارات قرآنية عبر توظيفها جملة (**على الكلمة دم كذب**) التي تلمح إلى الخيانة الأولى في الوعي الجمعي، فيربطان النص مباشرة بالموروث الديني/القصصي عبر مجموعة من الالفاظ ينضوي الشأن ذات وتحاكي ماهية النص منها:(**البئر/ والدم/ الكذب**)، لكن بقراءة معاصرة تضع الشاعر/الذات مكان يوسف كتأمل شعري في الذاكرة الجريحة استهلته الشاعرة لتفتح النص على جرح وجودي–لغوي، حيث تتحول الكلمة (رمز التعبير والهوية) إلى دم مزيّف هنا يتجلى ألم مضاد الذي لا يكتفي بأن يكون شعورًا بالجرح، فـ(المفارقة) بدل أن تكون الكلمة خلاصًا أو حقيقة، تتحول إلى زيف وخيانة، واللغة التي يُفترض أن تواسي أو تخلّص، تتحول إلى أداة خيانة، هذا الانقلاب من المعنى الإيجابي إلى نقيضه هو عين الألم المضاد، ثم أن لتكرار الآخر في عبارة: (**طفلة أخرى**) توحي بأن الهوية الممزقة بين الأسطورة والذات منقسمة على نفسها، مكرورة، وكأنها لا تملك أصالة وجودها بل تعيش استنساخًا مشوّهًا، هذا يخلق حالة من استلاب الهوية، حيث لا تكون "أنا" إلا من خلال قصة الآخر، ليصور لنا النص رحلة ذات مأزومة تعيش مستلبة كظل بدل الجسد، أو كطفلة أخرى خلف الستائر كحاجز نفسي يمثل وجود ناقص انعكاس للذات، أو كامتداد لأسطورة يوسف لا كصوت مستقل، من ثم هذا يعني أن الذات لا تتصالح مع طفولتها، بل تراها كغريبة عنها، وهو شكل من الألم المزدوج.

كما قدمت الشاعرة **آلاء عادل** أنموذجاً مغايراً تجلى بالمفاخرة والتحدي ومواجهة الصمت والاعراف، عندما تفاخرت باسمها الصريح وبما تقدمه، دون اكتراث لما تواجهه من انتقاد او اقتران اسمها بالرجل، إلا ان طبيعة الاكراه فضحت ألم الاختباء فقالت من خلال نصها المتجلي بصيغة اخبار (عادل، ٢٠٢٢م، صفحة ٦٥):

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (١) ملحق (١) آذار. لسنة ٢٠٢٦م -١٤٤٧هـ

أخبر العشيرة

اسمي آلاء

واكره الاختباء خلف أحد.

في النص السالف تصرح الشاعرة من خلال خطابها، عن الإشهار عن اسمها الصريح، والذي خرجت دلالتها التوظيفي من التعريفية بالذات إلى استحضار المواجهة ومقاومة الاعراف، فهي باحثة عن استعادة كيانها (الانثوي المنفرد) المستلب مقابل الاسم الجمعي، فاعتلى ذلك الخطاب ألم رفض الذات ورفضها ان تكون انكاسا لأي احد مهما كانت طبيعة صلة الأخر، فهي ثائرة ضد فكرة التواري خلف الرجل، فهي لا تقبل أن تموت المرأة مرتين، مرة في غيابها، والثانية حين يمحو اسمها، فالألم الانكار ساريا في ذات الشاعرة حتى في الانتقال إلى العالم الاخر ومفارقتها، فاللافتة لا تعرف بها حتى بعد موتها وهذا ما ترك ذلك الانطباع ثورة في وجدان الشاعرة وخروجها عن الصمت وهي تسلط الضوء على الاحياء ممن يمثلون السلطة الابوية عليها.

لما تقدم من النصوص عبّرت عن تجربة وجودية فيها تفكك للذات وخيبة في اللغة واغتراب عن الهوية، فالألم المضاد ليس مجرد إحساس بالحزن، بل هو تجربة نفسية مزدوجة الألم يأتي من جهة، هذا يولّد ألمًا مضادًا، فبدل أن يكون الكلام تحريرًا للذات، يصبح تضليلاً لها فيمثل الجانب المكبوت من الشخصية. هذا الانقسام من أبرز مظاهر استلاب الهوية في علم النفس الوجودي.

نتائج البحث

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها ما يأتي:

- استلاب الهوية هو تحقيق الشعرية من خلال بلاغة الانفصال والانشطار والم التشتيت، إذ تعتمد الشاعرة العراقية على تجربها الذاتية الفردية في سرده لأحداث مرت بها وعانت منها المرأة بصورة عامة، ولعل الشكل النص النسوي يطلب هذا النوع من أنواع الألم الذي يتصف بالذاتية الفردية ويحيل إلى ما هو شخصي.

- كشفت القصيدة النسوية العراقية المعاصرة من خلال معجمها الشعري عن حقل دلالي لكلمات دالة على الشتات والبعثرة والتفريق، واعلنت عن الفوارق الثقافية واللغوية والسلوكية بين المنطقتين.

- إنَّ اندماج الشاعرة في الآخر وتشظيها وانشطارها، بأنماطه المتعددة يولد حالةً من انشطار بين الطرفين وتوحدهما تجاه أمر معين، فقد تميزت بحسِّها الأنثوي في اختيارها الألفاظ والمفردات التي تشيع فيها عواطفها وإحساساتها، وقدرتها الإبداعية وإثباتها لكيانها ومضاهاتها لـ (للذات) في تلك القدرة.

- سلط النص النسوي على قضايا اجتماعية لها دور رئيس في تشكيل الوعي الفردي والجماعي، وهنا يمكن القول: أن الشاعرة تستمد قيمتها من وجود الآخر(الواقع). فضلًا عن تميز كلّ شاعرة بمعجمها اللغوي الحزين الخاص.

- مارست الشاعرة عير خطابها الشعري نقدا ثقافيا اجتماعيا كاشفا عن الطبقات الاجتماعية المنسية أو الهامشية عن طريق نقد المركزيات والعقل الذكوري.

المصادر:

١. ابراهيم كي زال. (٢٠١٩). حدائق العشق. بغداد: منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتب في العراق.

٢. احمد بيان. (٢٠١٩م). هوية في شعر النسوي العراقي المعاصر شعر بشرى البستاني انموذجا. بصرة: كلية الاداب.

٣. الاء عادل. (٢٠٢٢م). ألهو بما ليس لديه. العراق: مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع.

٤. البستاني بشرى. (٢٠١١). المخاطبات حواء. القاهرة: شمس للنشر والتوزيع،.

٥. ايمانويل مونييه. (١٩٧٩). الشخصانية. بيروت: منشورات العربية.

٦. بشرى البستاني. (٢٠١٤). ألبسي شالك الأخضر وتعالي (المجلد ١). عمان، الاردن: دار فضاءات للنشر والتوزيع.

٧. بلقيس حميد. (٢٠١٥). مخاض مريم (المجلد ١). بغداد، العراق: دار ميزوبوتيما.

٨. د. نوال السعداوي. (بلا تاريخ). الانثى هي الاصل. مؤسسة هنداوي.

٩. زولا شوي. (١٩٩٥). اصل الفرق بين الجنسين. سوريا: دار الحوار.

١٠. شرتح عصام. (٢٠١٣). الشعر والنقد والسيرة، الشعر والنقد والسيرة (مقاربة لتجربة بشرى البستاني الإبداعية) (المجلد ١). عمان، الاردن: دار دجلة.

١١. عبد الجبار عمر. (٢٠٠٨). عبد الجبار عمر، الرفض في مجموعة (مكابدات الشجر) ضمن كتاب (ينابيع النص وجماليات التشكيل) (المجلد العدد٢). العراق –الموصل، العراق: مالتربية والعلم.

١٢. عيسى برهومة. (٢٠٠٢). اللغة والجنسحفريات لغوية في الذكورة والأنوثة (المجلد ٢). الاردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.

١٣. محمد السعيدي. (٢٠٠٨). الرفض في الشعر المعاصر. الجزائر: مجلة الأثر(مجلة الآداب واللغات).

١٤. ميثاق الركابي . (٢٠٢٢). غزلٌ عراقي (المجلد ١). بغداد: دار بيت الكتاب السومري.

١٥. نضال القاضي. (٢٠١٦). راهب العنب (المجلد ١). المغرب: مؤسسة الموجة الثقافية.

١٦. نوال السعداوي. (بلا تاريخ). الانثى هي الاصل. مؤسسة هنداوي.

١٧. نوال، السعداوي. (، د. ط ، د. ت،). الانثى هي الاصل. مؤسسة هنداوي.